تفسير إبن كثير

وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ

فقال : (ولولا فضل االله عليكم ورحمته) أي : لحرجتم ولشق عليكم كثير من أموركم ، (وأن االله تواب) [أي] : على عباده - وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان المغلظة - (حكيم) فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه .وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية ، وذكر سبب نزولها ، وفيمن نزلت فيه من الصحابة ، فقال الإمام أحمد :حدثنا يزيد ، أخبرنا عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) ، قال سعد بن عبادة - وهو سيد الأنصار - : هكذا أنزلت يا رسول االله؟ فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم " : يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟ " قالوا : يا رسول االله ، لا تلمه فإنه رجل غيور ، واالله ما تزوج امرأة قط [إلا بكرا ، وما طلق امرأة له قط] فاجترأ رجل منا أن يتزوجها ، من شدة غيرته . فقال سعد : واالله - يا رسول االله - إني لأعلم أنها حق وأنها من االله ، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعا قد

تفخذها رجل ، لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء ، فواالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته . قال : فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية - وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم - فجاء من أرضه عشاء ، فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، فلم يهجه حتى أصبح ، فغدا على رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : يا رسول االله إني جئت أهلي عشاء ، فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني ، وسمعت بأذني . فكره رسول االله صلى االله عليه وسلم ما جاء به ، واشتد عليه ، واجتمعت الأنصار فقالوا : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة ، الآن يضرب رسول االله صلى االله عليه وسلم هلال بن أمية ، ويبطل شهادته في المسلمين . فقال هلال : واالله إني لأرجو أن يجعل االله لي منها مخرجا . وقال هلال : يا رسول االله ، إني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به ، واالله يعلم إني لصادق . فواالله إن رسول االله صلى االله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه ، إذ أنزل االله على رسول االله صلى االله عليه وسلم الوحي - وكان إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك ، في تربد وجهه . يعني : فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي - فنزلت : (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم) الآية ، فسري

عن رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فقال : " أبشر يا هلال ، قد جعل االله لك فرجا ومخرجا " . فقال هلال : قد كنت أرجو ذلك من ربي ، عز وجل . فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أرسلوا إليها " . فأرسلوا إليها ، فجاءت ، فتلاها رسول االله صلى االله عليه وسلم عليهما ، وذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا . فقال هلال : واالله - يا رسول االله - لقد صدقت عليها . فقالت : كذب . فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لاعنوا بينهما " . فقيل لهلال : اشهد . فشهد أربع شهادات باالله إنه لمن الصادقين ، فلما كان في الخامسة قيل له : يا هلال ، اتق االله ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب . فقال : واالله لا يعذبني االله عليها ، كما لم يجلدني عليها . فشهد في الخامسة أن لعنة االله عليه إن كان من الكاذبين . ثم قيل [لها : اشهدي أربع شهادات باالله إنه لمن الكاذبين ، فلما كانت الخامسة قيل] لها : اتقي االله ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب . فتلكأت ساعة ، ثم قالت : واالله لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة أن غضب االله عليها إن كان من الصادقين . ففرق رسول االله صلى

االله عليه وسلم بينهما ، وقضى ألا يدعى ولدها لأب ولا يرمى ولدها ، ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد ، وقضى ألا [بيت لها عليه ولا] قوت لها ، من أجل أنهما يتفرقان من غير طلاق ، ولا متوفى عنها . وقال : " إن جاءت به أصيهب أريسح حمش الساقين فهو لهلال ، وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين ، فهو الذي رميت به " فجاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لولا الأيمان لكان لي ولها شأن " .قال عكرمة : فكان بعد ذلك أميرا على مصر ، وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب .ورواه أبو داود عن الحسن بن علي ، عن يزيد بن هارون ، به نحوه مختصرا .ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة . فمنها ما قال البخاري : حدثني محمد بن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن هشام بن حسان ، حدثني عكرمة ، عن ابن عباس; أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى االله عليه وسلم بشريك بن سحماء ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " البينة أو حد في ظهرك " فقال : يا رسول االله ، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي صلى االله عليه وسلم يقول : " البينة وإلا حد في ظهرك " . فقال

هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ، ولينزلن االله ما يبرئ ظهري من الحد . فنزل جبريل ، وأنزل عليه : (والذين يرمون أزواجهم) ، فقرأ حتى بلغ : (إن كان من الصادقين) فانصرف النبي صلى االله عليه وسلم فأرسل إليهما ، فجاء هلال فشهد ، والنبي صلى االله عليه وسلم يقول : " االله يشهد أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب " ؟ ثم قامت فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا : إنها موجبة . قال ابن عباس : فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ، ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم . فمضت ، فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " أبصروها ، فإن جاءت به أكحل العينين ، سابغ الأليتين ، خدلج الساقين ، فهو لشريك بن سحماء " . فجاءت به كذلك ، فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " لولا ما مضى من كتاب االله ، لكان لي ولها شأن " .انفرد به البخاري من هذا الوجه وقد رواه من غير وجه ، عن ابن عباس وغيره .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الزيادي حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا صالح - وهو ابن عمر - حدثنا عاصم - يعني : ابن كليب - ، عن أبيه ، حدثني ابن عباس قال : جاء رجل إلى رسول االله ، فرمى امرأته برجل ، فكره ذلك رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فلم يزل

يردده حتى أنزل االله : (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء [إلا أنفسهم]) [فقرأ] حتى فرغ من الآيتين ، فأرسل إليهما فدعاهما ، فقال : " إن االله ، عز وجل ، قد أنزل فيكما " . فدعا الرجل فقرأ عليه ، فشهد أربع شهادات باالله إنه لمن الصادقين . ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه ، فقال له : " كل شيء أهون عليه من لعنة االله " . ثم أرسله فقال : (لعنت االله عليه إن كان من الكاذبين) ثم دعاها بها ، فقرأ عليها ، فشهدت أربع شهادات باالله إنه لمن الكاذبين ، ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظها ، وقال : " ويحك . كل شيء أهون من غضب االله " . ثم أرسلها ، فقالت : (غضب االله عليها إن كان من الصادقين) فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أما واالله لأقضين بينكما قضاء فصلا " . قال : فولدت ، فما رأيت مولودا بالمدينة أكثر غاشية منه ، فقال : " إن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا ، وإن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا " . فجاءت به يشبه الذي قذفت به .وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير قال : سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما - في إمارة ابن الزبير؟ فما دريت ما أقول ، فقمت من مكاني إلى منزل ابن عمر فقلت : أبا عبد

الرحمن ، المتلاعنان أيفرق بينهما؟ فقال : سبحان االله ، إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال : يا رسول االله ، أرأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم ، وإن سكت سكت على مثل ذلك . فسكت فلم يجبه ، فلما كان بعد ذلك أتاه فقال : الذي سألتك عنه قد ابتليت به . فأنزل االله عز وجل هذه الآيات في سورة النور : (والذين يرمون أزواجهم) حتى بلغ : (أن غضب االله عليها إن كان من الصادقين) . فبدأ بالرجل فوعظه وذكره ، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقال : والذي بعثك بالحق ما كذبتك . ثم ثنى بالمرأة فوعظها وذكرها ، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقالت : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب . قال : فبدأ بالرجل ، فشهد أربع شهادات باالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة االله عليه إن كان من الكاذبين . ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات باالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب االله عليها إن كان من الصادقين ، ثم فرق بينهما .رواه النسائي في التفسير ، من حديث عبد الملك بن أبي سليمان ، به وأخرجاه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، عن

الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد االله قال : كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد ، فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت عن غيظ؟ واالله لئن أصبحت صالحا لأسألن رسول االله صلى االله عليه وسلم . قال : فسأله . فقال : يا رسول االله ، إن أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت على غيظ؟ اللهم احكم . قال : فأنزل آية اللعان ، فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به .انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه من طرق ، عن سليمان بن مهران الأعمش ، به .وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو كامل : حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثنا ابن شهاب ، عن سهل بن سعد ، قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال : سل رسول االله صلى االله عليه وسلم : أرأيت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله ، أيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فعاب رسول االله صلى االله عليه وسلم المسائل . قال : فلقيه عويمر فقال : ما صنعت؟ قال : ما صنعت! إنك لم تأتني بخير; سألت رسول االله صلى االله عليه وسلم فعاب المسائل فقال عويمر : واالله لآتين رسول االله صلى االله عليه وسلم فلأسألنه .

فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيهما . قال : فدعا بهما فلاعن بينهما . قال عويمر : لئن انطلقت بها يا رسول االله لقد كذبت عليها . قال : ففارقها قبل أن يأمره رسول االله صلى االله عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أبصروها ، فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين ، فلا أراه إلا قد صدق ، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أراه إلا كاذبا " . فجاءت به على النعت المكروه .أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا الترمذي ، من طرق ، عن الزهري ، به .وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا النضر بن شميل ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن زيد بن يثيع ، عن حذيفة ، رضي االله عنه ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم لأبي بكر : " لو رأيت مع أم رومان رجلا ما كنت فاعلا به؟ قال : كنت واالله فاعلا به شرا . قال : " فأنت يا عمر؟ " . قال : كنت واالله فاعلا كنت أقول : لعن االله الأعجز ، وإنه خبيث . قال : فنزلت : (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم)ثم قال : لا نعلم أحدا أسنده إلا النضر بن شميل ، عن يونس بن أبي إسحاق ، ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يثيع مرسلا فاالله أعلم

.وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أنس بن مالك ، رضي االله عنه ، قال : لأول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته ، فرفعه إلى رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك " ، فقال : يا رسول االله ، إن االله يعلم إني لصادق ، ولينزلن االله عليك ما يبرئ به ظهري من الجلد . فأنزل االله آية اللعان : (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) إلى آخر الآية . قال : فدعاه النبي صلى االله عليه وسلم فقال : " اشهد باالله إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنى " فشهد بذلك أربع شهادات ، ثم قال له في الخامسة : " ولعنة االله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنى " ، ففعل . ثم دعاها رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : " قومي فاشهدي باالله إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنى " . فشهدت بذلك أربع شهادات ، ثم قال لها في الخامسة : " وغضب االله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنى " ، فقالت : فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة ، حتى ظنوا أنها ستعترف ، ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم . فمضت

على القول ، ففرق رسول االله صلى االله عليه وسلم بينهما ، وقال : " انظروه ، فإن جاءت به جعدا حمش الساقين ، فهو لشريك بن سحماء ، وإن جاءت به أبيض سبطا قضيء العينين فهو لهلال بن أمية " . فجاءت به آدم جعدا حمش الساقين ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لولا ما نزل فيهما من كتاب االله ، لكان لي ولها شأن " .